هـــذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر يثب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل ؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما بدا منها وينبعث منها فى سكونها واضطرابها ؛ فى تألقها ، وانطفائها ؛ فى إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى التغوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا يزال رهنا بما يدعم قوته فى المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمى فى الغرب ، فهى لا تزال محاولات أولية فى اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والغوص إلى مصدر تجاوبها الروحى والنفسى ، واتصال ذلك بنظرتها فى الحياة ودخله فى تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة فى ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها فى المكتبة الغربية ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاقى إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التى تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث تجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع ، أو أن كل مافيه مبرأ من المآخذ التى يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل ترجع قيمته إلى أنه أول بحث فى اللغة العربية على ماأعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقد تناوله ذهن منطق بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ فى هذا الجانب النفسى ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت فى آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات الغريبة ؛ بل هو كمين فى ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما يجود به الأقلام فى هذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التى نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة مايحمل من نظريات لايحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبى ذلك فى تقديم هذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجنى ثمرها ؛ ويهدأ فى ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال فى « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده المفتى لم يُعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدى فى بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أنى أحببته محدثا فى ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً فى الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

محمد عبد الغنى حسن

الشوق العائد

نحت الطبع

ديوان جديد للشاعر على محمود طه